الفصل الرابع

الشاعر محارباً سياسياً

مقابلة أجرتها / هدى الحسيني

(جريدة الشرق الأوسط - العدد ٤٣٣٦ -

١٢ أكتوبر ١٩٩٠م)

(أجريت هذه المقابلة خلال أزمة الخليج)

كثيرة هي الأقلام التي تفاعلت مع احتلال الكويت، ومع تفاعلها انفعلت، فوقف القراء والمتتبعون، مواقف مختلفة من الكلمات التي خطتها تلك الأقلام.

ولأن احتلال صدام حسين للكويت، قسّم العالم العربي، وفرّق بين العربي والعربي، كانت ردود فعل كل فريق تجاه ما يكتبه الإخوة الخليجيون إما «مع» قاطعة أو «ضد» لا تساوم.

من أبرز الأقلام التي تلعب دوراً مهماً منذ أزمة الخليج، الدكتور/غازي القصيبي: الشاعر، والكاتب، والسفير لبلاده «السعودية» في البحرين، بعد أن كان وزيراً مدة عشر سنوات.

وللدكتور القصيبي قصائد مميزة، من حيث كونها تفصل بين مرحلتين في حياته، أو في أوضاع المنطقة. ومع القصائد الشعرية التي انطلقت مع احتلال الكويت، اختار أن يكتب - يومياً - مقالاً يعبرِّ فيه عن وجهة نظره، التي كثيراً ما كانت نقداً لاذعاً، لموقف مسؤول، أو لتصريحاته.

في حوار «الشرق الأوسط» هذا الأسبوع، قررنا أن ننقل إلى الدكتور/غازي القصيبي أفكار وآراء وتعليقات «الفريق الآخر»، والتي تضم انتقادات، إضافة إلى رفض ما يعبر عنه. الدكتور الشاعر السفير، كان جوابه: أن يقبل أي سؤال، إذا تحملنا نشر الجواب. وهكذا كان الاتفاق.

في حواره مع «الشرق الأوسط» نفى الدكتور القصيبي أن يكون الخليجيون فقدوا إيمانهم بالعروبة والقومية العربية وقال: إذا حصل، يكون مجرد الإحساس بلحظة إحباط، وليس أكثر. فالقضية الأولى للعرب والمسلمين، هي قضية فلسطين. وإن احتلال الكويت، زاد معاناة أبناء الخليج، بالنسبة لاحتلال الصهاينة لفلسطين. وأضاف أن الخطر الذي يتهدد بيروت لا يختلف عن الخطر الداهم الذي يتهدد الكويت، فلبنان ما يزال قائماً برغم كل الأعاصير، أما الكويت، فإنها نامت دولة مستقلة ذات سيادة، لتستيقظ وهي إقليم تابع للعراق!

كان الحوار مطولاً مع الدكتور القصيبي، وبالطبع، لم يخلُ من انفعال وعصبية. وهنا نص الحوار:

❣ كما أننا لاحظنا أن هناك كمية من الكراهية والحقد، على الكويت والكويتيين عند صدام حسين، نشعر أنه لا ينقصك شيء من الإحساس نفسه، ضد الذين لم يقفوا معكم! فأين كانت مخبأة هذه المشاعر؟

– أعتقد أن الإجابة موجودة في السؤال نفسه. في الماضي لم نكن في حاجة إلى أحد يقف معنا، ولم يكن ثمة مبرر لكي تكون في أعماقنا مشاعر غضب من أحد. هذه المشاعر نشأت بنشوء الحاجة إلى من يقف معنا. عندما كانت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة، لم يكن هناك ما يدعونا إلى أن نشعر بحقد أو غضب على أحد. عندما استبيحت كرامة الكويت، واغتصبت على هذا النحو المزري، كان شعورنا – بطبيعة الحال – جياشاً ضد من اغتصب الكويت، وكان شعورنا بالغضب قوياً تجاه الذين وقفوا معه، الذين لم يكتفوا بعدم الوقوف معنا، بل وقفوا إلى جانبه في غزو الكويت واجتياحها.

❣ لكن هل تعتبرون الذين لم يقفوا معكم ضدكم، حتى دون أن يقفوا مع صدام حسين؟

– نحن – الآن – في موقف اتضحت فيه الأمور، لا أعتقد أن هناك الآن أناساً يستطيعون أن يقفوا ضدنا، بدون أن يقفوا مع صدام حسين. أو أن يقفوا معه بدون أن يقفوا ضدنا كيف يجمع الإنسان بين الماء والنار؟! كيف يمكن لأحد أن يقول: «أنا أقف معكم، ولكنني لست ضد صدام حسين»؟! كلا.

❣ أقول: لا يقف معكم، ولا يقف مع صدام حسين.

- الأسرة الدولية حددت موقفها. مجلس الأمن حدد موقفه. الجماعات الدولية حددت موقفها. لم يبق طرف في العالم إلا وحدد موقفه. هذا هو الواقع، فلماذا نتحدث عن شيء نظري؟!

❣ في هذه الحالة أنتم تشبهون الطرف الآخر الذي يقول: من لا يقف مع صدام حسين، فهو مع أمريكا!

- هناك فرق كبير جداً بين ضحية الاحتلال والمحتل، نحن الطرف المظلوم، وهو الطرف الظالم، والمقارنة بين الموقفين غير واردة. نحن لا نتحدث الآن عن موقف حيادي. نحن نتحدث عن دولة اغتصبت بالفعل، ووقعت تحت الاحتلال. بطبيعة الحال نحن نعتبر الذين يقفون مع اغتصاب هذه الدولة ضدنا. هذا أمر واضح جداً.

❣ هل انتظرت حدوث مآساة الكويت، لتبدأ كتابة المقال اليومي، وأنت المعروف كشاعر؟

- المقال اليومي جزء من الحرب النفسية لاسترجاع الكويت. ولم نكن بحاجة إلى حرب نفسية قبل احتلال الكويت. إنني أعتبر احتلال الكويت، كاحتلال الرياض، أو جدة، أو المنامة، أو الدوحة، أو مسقط، وأعتقد أن من واجبي أن أقف ضد هذا الاحتلال بكل وسيلة متاحة لي: بالسلاح، أو بالقلم. قبل احتلال الكويت لم أشعر بخطر يتهددني على هذا النحو، ولم تكن ثمة حاجة لموقف كهذا من جانبي.

❣ لماذا لم يثر في أعماقك احتلال بيروت من قبل الإسرائيليين، ما أثاره في أعماقك احتلال العراق للكويت؟

– من قال لك هذا؟ ألم تقرئي الدواوين التي كتبتها؟ كنت أول شاعر يخصص ريع ديوانه للقضية الفلسطينية. كنت أول من كتب عن بيروت. وقد كتبت بعمق وتأثر لم ألمسهما عند عدد من اللبنانيين كنت أتمزق ألماً من احتلال بيروت، وكانوا على «الريفيرا» الفرنسية، لا يبدو عليهم أي أثر للانفعال ولكن عليك أن تتذكري، أن بيروت أبعد قليلاً من الكويت، ومن الدوحة، والخطر الذي يهدد بيروت، ليس في مستوى الخطر الداهم، الذي يهددنا الآن في الخليج.

❣ هل يمكن لإنسان أن ينجح في أن يكون دبلوماسياً، وسياسياً، وشاعراً، وكاتباً صحفياً، في الوقت نفسه؟

– من الناحية المنطقية يمكن للإنسان أن يجمع بين عدة أشياء. ما هي الصعوبة؟ لقد عرف التاريخ العديد من الدبلوماسيين، الذين كانوا في الوقت نفسه شعراء. وعدد من كبار الشعراء كانوا من الدبلوماسيين: كعمر أبو ريشة، ونزار قباني. كما أن بدوي الجبل كان سياسياً، بالإضافة إلى كونه شاعراً، وكاتباً.

❣ الملاحظ – من خلال كتاباتك، وكتابة بعض الإخوة الخليجيين – أنه صار عندكم حس «شوفيني» فهل انتهت العروبة كانتماء وأخوة بالنسبة إليكم؟

– كل ما كتبته – شعراً ونثراً – كان موجهاً إلى الحكام، وليس إلى الشعوب. العروبة لم تأتني بتعليمات من صدام حسين، حتى تزول عني بسبب تصرفات صدام حسين ولم أتلقّ العروبة من كتب ميشيل عفلق، حتى تزول عني بزواله لم يأتِ تأييدي لقضية فلسطين بناءً على إعجاب بشخصية ياسر عرفات، حتى يزول تأييدي للقضية، مع زوال إعجابي بعرفات لقد نشأت كما نشأ كل عربي في الخليج، وفي الجزيرة، وهناك حقائق أساسية تملأ وجودنا، وهي أننا عرب ومسلمون، وأن قضيتنا الأولى هي قضية فلسطين. هذه الحقائق، لا علاقة لها بصدام حسين، ولا باحتلال الكويت، ولا بياسر عرفات. لا أعتقد أن موقفنا من القضايا العربية السياسية الثابتة، تغير قيد أنملة. على العكس، احتلال الكويت يضاعف في نفوسنا الشعور بمرارة الاحتلال الصهيوني لفلسطين. موافقنا الأساسية لم تتغير. ما تغير، مشاعرنا نحو الحكام. كل ما تجدينه من مرارة في كتاباتي، أو كتابات غيري، فهي موجهة إلى الحكام، لا إلى الشعوب. المفروض أن يكون ياسر عرفات قائد ثورة، أن يكون ضمير الإنسانية، أن يرفض مبدأ الاحتلال في كل مكان؛ فكيف يؤيد احتلال دولة عربية نشأ وترعرع فيها، وانطلقت ثورته منها؟!

؟ هو لم يؤيد الاحتلال. أنت كتبت بأنه «يشيد باحتلال القوات العراقية للكويت»، وهو لم يفعل ذلك. هو رفض أن يدين الاحتلال.

- قصة البيضة والدجاجة. لا ينبغي لي، ولا ينبغي لك، أن نكون «صدّاميين» أكثر من صدام، وصدام حسين نفسه هو الذي وجه الشكر إلى الذين وقفوا معه، وفي مقدمتهم ياسر عرفات، من المحرج - عقلاً - أن تدافعي عن موقف، وياسر عرفات نفسه هو أول من يعترف به. ياسر عرفات قال: «كل من لا يقف مع العراق، سوف يلعنه التاريخ»، وياسر عرفات قال: «إننا نقف مع صدام حسين في خندق واحد»، وياسر عرفات يزور صدام حسين كل يوم. إذا أنكرت مواقف عرفات، فهذا يعني أنك أصبحت «عرفاتية» أكثر من عرفات.

❣ لكن كلمات عرفات ليست منزلة!

- أنا لم أقل: إنها منزلة، كلمات ياسر عرفات، تمثل موقف ياسر عرفات، وهذا الموقف - من البداية - هو التأييد المطلق لصدام حسين. هذا ما يقوله هو، وما يقوله صدام حسين.

❣ لماذا شملت كل الفلسطينيين في كتاباتك؟

- من أين جئت بهذا الكلام؟! كل كلمة كتبتها، كانت تتحدث عن الحكام، لم أذكر الشعب الفلسطيني إطلاقاً لأنني لا أستطيع أن أحمّل هذا الشعب جريرة قيادته. ما ذنب الشعب الفلسطيني في هذه القضية؟ أنا واثق من أن كل فلسطيني أعرفه، يقف مع الشعب الكويتي، لقد تلقيت عشرات الرسائل من فلسطينيين يقفون جميعاً

ضد الاحتلال الصدامي للكويت، (وأنا دائماً أسمي هذا الاحتلال «الصدامي»، ولا أسميه «العراقي»). مواقفي وكتاباتي، شأنها شأن مواقف وكتابات غيري في الخليج، تشكل نقداً لمواقف القيادات والزعامات، لا لمواقف الشعوب.

❣ لكن لاحظنا - ليس في كتاباتك أنت بالذات، ولكن في كتابات بعض الخليجيين - أن هناك نقداً للفلسطينيين، وندباً لكل قرش ساهمتم به. فبدا الأمر كأنكم نادمون على كل المواقف السابقة!

- هذا غير صحيح، أنا لا أعرف كاتباً خليجياً واحداً قال: «ليتنا لم نساعد الفلسطينيين!» ولا كاتباً خليجياً واحداً قال: «إن موقفنا السابق من دعم قضية فلسطين غير صحيح!». قضية فلسطين - بالنسبة لنا - لا تقبل المساومة، ولا الجدل، ولا النقاش. جميع ما تسمعين من انتقادات، موجهة إلى الزعامات الفلسطينية. عندما يأتي شخص مثل «جورج حبش» ويقول: «كل ما يؤدي إلى زوال الدول العربية القائمة، هو موقف شرعي»، فإنني أنتقد موقفه هذا، وأنتقد الفلسطينيين الذين يؤمنون به. ولكني لا أنتقد الشعب الفلسطيني ككل. إنني أعتقد أن هذا الشعب - بحس العدالة المترسخ فيه - لا يمكن أن يقف مع احتلال الكويت.

❣ لماذا - كخليجيين - تقفون الآن ضد الزعامة الفلسطينية بسبب مواقفها؟ وفي السابق وقفتم ضد قسم كبير من اللبنانيين، الذين كانوا يرفضون تصرفات هذه الزعامة، بالذات في لبنان؟!

- لا مجال للمقارنة بين الوضع الكويتي، والوضع اللبناني، لبنان دولة مقسمة منذ ثلاثين أو أربعين سنة إلى فئات، وعرضة للتدخلات الأجنبية، كانت هناك - دائماً - ميليشيات، ودولة داخل دولة، وحزب داخل حزب، ولبنان - على أي حال - لم يزل قائماً. لم يحصل في لبنان ما حصل في الكويت: دولة تنام وهي مستقلة ذات سيادة، وتصحو في الصباح وهي جزء من دولة أخرى لم يحصل شيء كهذا في أي مكان لا في لبنان، ولا في فلسطين، المقارنة غير واردة؛ لأن الوضعين مختلفان تماماً.

؟ هل تشعر أن صدام حسين خدعكم؟

- لقد تصرف صدام حسين تصرفاً مجرداً من كل القيم، وكل الأخلاق، ومن المنطق والحكمة. خدعنا أو لم يخدعنا، ليس هذا هو السؤال. ليست القضية أنه كان أذكى منا، أو أكثر عبقرية، فالذي عمله لم يكن عملاً ذكياً أو عبقرياً. لم يكن وارداً أن نتصرف على أساس أن ما حصل يمكن أن يحصل. نحن نسمع في الأخبار إن إنساناً ما قد يقتل أباه، أو أمه، أو زوجته، فهل يدخل الواحد منا بيته حاملاً سكينه معه، حتى لا يطعنه ابنه أو أخوه؟ لو تصرفنا من منطلق سوء النية هذا، لتحول العالم إلى غابة. ومن الأفضل أن نموت، على أن نتصرف على هذا النحو. صدام حسين لم يخالف المبادئ والقوانين فحسب، بل خالف حتى الغرائز. ولم يخالف الغرائز الإنسانية فقط، بل تجاوز الغرائز الحيوانية ذلك أن الحيوان لا يعتدي على حيوان من نفس فصيلته.

❣ الذين يغارون منك يقولون: إنك تنتظر من جراء ما تكتبه مكافأة، خاصة وأنه يقال: إنك طامع في مركز.

– لقد بلغت كل ما يمكن لإنسان مثلي أن يبلغه من مجد في هذه الحياة، ولم يعد هناك ما أتطلع إليه، سوى الباقيات الصالحات، ماذا يمكن لإنسان كان شاعراً معروفاً قبل سن التاسعة عشرة، وأصبح عميداً لكلية في حدود الثلاثين، وأصبح وزيراً في الخامسة والثلاثين – أن ينتظر الآن؟ ما تقولينه قد ينطبق على شخص لم يجرب هذه المناصب، أما الذي مرت عليه هذه الأشياء، وشبع منها، وشبعت منه – فلا يمكن أن تكون واردة. أملي الوحيد هو أن أقضي ما تبقى من حياتي في القراءة والكتابة.

❣ يعني فقدت أي طموح بالنسبة للمنصب أو المادة؟!

– لم أفقده، بل وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الطموح، واكتفيت. عندما يصل المرء إلى القمة، لا توجد هناك أي تحديات يتطلع إليها.

❣ هل وصلت إلى القمة؟

– نعم. وأعتقد أن عشر سنوات في الوزارة، هي فترة أكثر من كافية، بالنسبة للإنسان الطبيعي.

❣ كثيرون قالوا بالنسبة إلى موقف العاهل الأردني وتصريحاته: إنها ليست تصرفات ملوك! في المقابل انتقاداتك للملك حسين لم تكن تليق بالرد على الملوك. فماذا تقول؟

- لا أعتبر ما أكتبه في الزاوية إلا جزءاً من الحرب النفسية، - لأننا داخل حرب بالفعل - وأعتقد أنه يجوز في الحرب النفسية، ما لا يجوز في الأحوال العادية لقد أبدى الكثير من الإخوان هذه الملاحظة، ولست أول من سألني: كيف أكتب بهذا الأسلوب؟

في الواقع نحن نعيش في زمن غريب جداً عندما ينشر صدام حسين قائمة بأسمائه، تشبهاً بأسماء الله الحسنى، فكيف أرد عليه بأسلوب مهذب؟ كيف يمكن التعامل مع أشياء، هي قمة الزندقة والكفر؟ عندما يأتي الملك حسين - أثناء احتلال صدام للكويت - ويصفه بأنه وطني صادق العروبة، فكيف أجيب؟ هذه عبارة جرحت كل إنسان كويتي، وكل إنسان في الخليج. عندما يأتي الملك حسين، ويتحدث عن التدخل الذي يمسّ الأراضي المقدسة، - وهو يعرف جيداً أن القوات متعددة الجنسيات تبعد آلاف الكيلو مترات عن الأراضي المقدسة - فماذا نقول له؟ الملك حسين يعرف أنه أول من سن سنة التدخل الأجنبي في العالم العربي، فعندما يتحدث الآن عن التدخل الأجنبي كيف نرد عليه، وبأي أسلوب؟!

❣ ألا توافق أن الزعماء يتحولون في مراحل معينة إلى رموز لشعوبهم، وأنك لا تكسب تلك الشعوب التي تتعرض بالتجريح لبعض زعمائها؟

- لم أكن في يوم من الأيام في مباراة كسب شعبية، ولست الآن في مبارة كسب شعبية، ولن أخوض في المستقبل مبارة كسب شعبية، لا مع زعماء، ولا مع شعوب.

❣ يعني لا يهمك أن تحفظ خط الرجعة!

- عندما يكون الأمر متعلقاً بالمصير، بأن يكون الإنسان أو لا يكون، فإن إرضاء الأشخاص لا يكتسب أي أولوية على الإطلاق. من يريد أن يغضب، فليغضب، ومن يريد أن يرضى، فليرضَ نحن الآن أمام خطر يتهدد وجودنا ككيانات وشعوب، ولقد مضى زمن الأدب والمجاملة، وعلينا أن نواجه هذا التحدي بكل ما نملكه من حدة.

❣ من أسهم في تثبيت الفراغ في العالم العربي، إلى درجة أن اعتقد صدام حسين أنه قادر أن يملأه؟

- لن أنزلق في إيجاد مبررات لصدام حسين، لم يكن هناك من مبرر لعمله، سوى أنه وصل إلى مرحلة من جنون العظمة، صورت له أنه الحاكم الناهي الآمر، الذي يستطيع أن يأخذ الكويت إذا أراد، وأن يحتل الخليج إذا اشتهى لن أنزلق في المتاهات الفكرية التي انزلق إليها بعض إخواننا من المثقفين - مثل الأستاذ هيكل - فأصور ما قام به صدام حسين، على أنه محاولة لإعادة التوازن في العلاقة، بين البادية والحاضرة، وبين الأغنياء والفقراء. هذا كلام غيرصحيح.

ولن أنزلق إلى القول: إننا نحن الذين بنينا صدام حسين، ويجب أن نتحمل نتائج عملنا. كلا. قرار احتلال الكويت كان قراراً من فرد واحد وليس من شأني أن أجد له تبريرات ثقافية، أو سياسية،

أو اجتماعية. ليبحث الأستاذ هيكل أو غيره من المبررات، أما أنا فأقول: لم يكن هناك دوافع سوى الطمع والجشع، وجنون العظمة!.

❣ عندما كتبت رداً على مقال لمحمد حسنين هيكل نُشر في «التايمس» اللندنية - أكدت أن إمكانية توزيع النفط على الدول العربية، هي مجرد حلم! في هذا لم ترد على هيكل، بل جرحت أحاسيس كل عربي، وكأن كل عربي يقف على بابكم يطلب منكم حسنة هل قصدت ذلك؟

- فلنبحث الموضوع من الناحية التاريخية. أقامت الأمم المتحدة عقد التنمية الأول، فالثاني، فالثالث. وكان المأمول أن تقدم الدول الصناعية ١٪ من دخلها القومي للدول النامية. وهذه النسبة لم تصل إليها أي دولة - إن لم تخني الذاكرة -. نحن في منطقة الخليج لم نكن أثرياء منذ الأزل! لم تبدأ الثروة الحقيقية لدينا إلا سنة ١٩٧٣م بعد زيادة أسعار البترول. قبل ذلك لم يكن هناك شيء يذكر. في سنة ١٩٧٠م لم يكن في مسقط سوى عدد صغير جداً من السيارات، وفي أبو ظبي لم يكن هناك شيء على الإطلاق.

نحن لم نبدأ التنمية إلا منذ عشرين سنة، وخلال هذه الفترة، قدمنا من الدعم للأشقاء العرب، ما لم تقدمه أي دولة في تاريخ المساعدات كلها. نسبة المساهمة كانت تتراوح بين ٥٪ و٨٪ من الدخل القومي، ولم يكن هناك تقصير من أي دولة خليجية. وأنا شخصياً لا أعاني من أي عقدة ذنب في هذا المجال. قد لا تعرفين

أنت، ولا يعرف الكثير من الإخوة العرب، أن في صناديق التنمية الخليجية، مبالغ كبيرة تبحث عن مشاريع تنموية عربية مدروسة لتمويلها، فلا تجد كانت المشكلة أن الكثيرين كانوا يجيئون، ويطالبون بمبالغ نقدية، يصرفونها كما يشاؤون. وكنا نطالبهم بتقديم مشروعات مدروسة. الكلام الذي ذكره هيكل سخيف جداً. أقترح أن تقام هيئة منتفعين من النفط، تتكون من الدول التي تنتج النفط، والدول التي يمر النفط بأراضيها، والدول التي لا تنتج ولا يمر عبرها النفط، وتقتسم الدخل هذا نظرية غريبة جداً! لماذا هذه النظريات عن النفط فقط؟! لماذا «نفط العرب للعرب»، وليس «ماء العرب للعرب»؟! أذكر أن الرئيس جمال عبدالناصر ذكر في الستينيات، أن دخل قناة السويس، كان أكثر من دخل البترول في الجزيرة العربية، وكان مصيباً، ما هذا الإصرار - بغتة - على أخذ النفط، وبهذا الأسلوب؟! نحن لم نتردد يوماً في إعطاء الدعم، وإذا كانت نسبة ٥٪ أو ٨٪ نسبة غير كافية، فيمكن أن يكون هناك حوار، ولكن أن تأتي دولة فتحتلنا وتبتزنا، فهذا أسلوب مرفوض.

❣ هل تشعر أن العرب طامعون في أموال الخليج، وهناك الآن قوات عربية، تقف في المملكة للدفاع عنها؟

- لا أحب أن أعمِّم، والإنسان يجب أن يكون دقيقاً. أمامي أشخاص وقيادات، لها تصريحات ومواقف معروفة، وسوف أكتفي بالحديث عنها. ولكني لا أستطيع أن أحمل ضميري مسؤولية القول:

إن العرب طامعون في نفط الخليج. هذا شيء لا أعرفه، وأشك في وجوده، ولا يوجد لدي ما يثبته.

❣ هل تعتقد أن تياراً إقليمياً خليجياً سيظهر؟ وهل تؤيد - أنت شخصياً - أي نزعة انعزالية، تطالب بإبعاد أهل الخليج، عن محيطهم العربي؟

- نحن نعيش عصر «التكتلات الكبرى»: أوروبا تتكون من ٢٠٠ مليون نسمة، وأمريكا من ٢٥٠ مليون نسمة، وهلم جرا. الكيانات الصغيرة لا بد أن تتحد لكي تبقى. لا يوجد في الخليج - حسب علمي - مغرور واحد، يتصور أن بإمكان الخليج أن ينعزل عن بقية الأمة العربية. نحن - بدون العرب، وبدون العمق الإستراتيجي العربي - لا يمكن أن نتمتع بحياة رغيدة، أو أن يكون لنا المجتمع المنشود الذي نتطلع إليه. على العكس، الأزمة الحالية ستزيدنا إيماناً بقيمنا العربية.

مشكلتنا أننا آمنا بالوحدة، فجاء من يضمنا إليه باسم الوحدة، ويحولنا إلى قضاء أو محافظة. ليس هذا هو الأسلوب السليم للوحدة. لقد بدأنا هنا بأنموذج جديد، هو: «مجلس التعاون الخليجي»، وهو يسير بخطى بطيئة، ولكنه يسير. ونريد مستقبلاً أن تتبع الدول العربية نفس النهج التدريجي. أن يجتمع رئيسان، ويصدرا قراراً بتوحيد دولتين خلال ٢٤ ساعة، هذا أسلوب ثبت فشله. أسلوب القهر لم يعد صالحاً للتوحيد، الإمبراطورية

السوفيتية قامت على هذا النوع من الوحدة، وانهارت. فهل سيكون صدام حسين، و«الوحدويون» العرب من أمثاله، أعظم من الاتحاد السوفيتي؟ انهارت وحدة الإمبراطورية الشيوعية، وانهار الجدار، وسقطت الأنظمة القائمة على القهر والقمع.

نحن - رغم الأزمة - لم نفقد إيماننا بالقومية العربية، أو الوحدة العربية، ولكنا سنصر على أن تتم الوحدة، وفق خطوات مرحلية مدروسة. نحن نريد أن يفتح المجال لحرية الحركة: حركة الاستثمارات، وحركة العمال، وحركة المهنيين. نود توحيد المناهج، ودروس التربية الوطنية. قد يبدو هذا الطريق طويلاً، ولكني أعتقد أنه الطريق الوحيد، لتحقيق الوحدة العربية. إذا صادفت إنساناً في الخليج يتحدث عن فقدان الإيمان بكل هذه المسَلّمات، فهو يتكلم في لحظة إحباط، ولا يعبر عن رأي الخليج.

❣ هناك من يقول بأن خطة كانت قد أعدت قبل احتلال الكويت، يتقاسم - على أساسها - صدام حسين، والملك حسين، وعلي عبدالله صالح، الكويت والسعودية! وطبعاً الحصة الأكبر تكون لصدام حسين! هل سمعت بهذه الخطة؟ وما تعليقك عليها؟

- أعتقد - بعد الذي أعلنه الرئيس المصري حسني مبارك - لم يعد الموضوع مجرد سماع. لقد أعلن الرئيس المصري في مؤتمرات صحفية متتالية، أن «مجلس التعاون العربي» لم يكن سوى «مجلس تآمر». وأعلن أن إنشاء هذا المجلس كان بهدف تكوين فيلق عربي،

وإقامة تعاون استخباراتي، ولم يكن يستهدف أي تنسيق أو تعاون اقتصادي. وذكر الرئيس المصري - بوضوح وعلناً - أن هدف المجلس الحقيقي، كان تسهيل الهيمنة العراقية على الخليج. لم نعد الآن بصدد تكهنات. قال الرئيس مبارك كل هذا، وقال أكثر منه، وقال: إنه لم يعلن كل ما لديه. وبحسب علمي، لم يتهمه أحد بالكذب. عندما يتحدث الناس في الخليج الآن عن «مؤامرة»، لا أعتقد أنهم مصابون «ببرانويا». أعتقد أنهم يتحدثون، وأمامهم حقائق من رئيس دولة مسؤول، لا يلقي الكلام على عواهنه.

أكد الرئيس حسني مبارك، ما جاء في نشرة «الفورن ريبوت» البريطانية، عن اتصالات عراقية - إسرائيلية، جرت في السابق، وتجري حالياً. هل تابعت هذا الموضوع؟

- لا يوجد عندي ما أضيفه إلى ما قرأت. ولكني أقول: إنني لا آخذ التهديدات العراقية ضد إسرائيل مأخذ الجد، سواء كانت هناك اتصالات بين الطرفين، أو لم تكن. قبل غزو الكويت بشهرين قال صدام حسين في خطاب علني: إن لديه فرقاً مدرعة أكثر من إسرائيل، وطائرات أكثر مما لدى إسرائيل، وصواريخ أكثر من صواريخ إسرائيل. وقال: إنه يستطيع القضاء على إسرائيل. حسناً، لماذا لم يفعل ذلك؟ لماذا لم يحرق نصف إسرائيل - كما هدد -؟ لماذا لم يزحف على إسرائيل؟ لو فعل صدام حسين ذلك، لما كان في الأمة العربية إنسان واحد يعارضه. كنا جميعاً مشينا تحت لوائه،

وكنا جميعاً متنا في سبيله. ولكن هذه القوة التي استمعنا علناً إلى تفاصيلها: «٥ ملايين مقاتل، وخمسين فرقة، وصواريخ تدميرية لا مثيل لها» تحولت لا إلى إسرائيل، بل إلى الكويت احتلت الكويت، ووقفت على حدودنا. أنا لا أعرف: هل هناك اتصالات إسرائيلية/ عراقية، ولكني متأكد أنه لا توجد لدى صدام حسين أي نوايا عدوانية ضد إسرائيل. لقد أهانته إسرائيل، وقصفت مفاعله الذري، ورتبت «إيران جيت»، ولم يقذف عليها طلقة واحدة الحقائق تقول: إنه لم يظهر أي عدائية نحو إسرائيل.

❣ تقول: لو أنه فعل هذا بإسرائيل، كنا نمشي وراءه. هل كنا - فعلاً - نمشي وراءه، وننسى أنه «ديكتاتور»، ولا يعترف بحقوق الإنسان؟

- نعم، لأنني أعتقد أن قضية فلسطين، قضية متوهجة في النفوس العربية، وتثير من المشاعر ما يجعل أي إنسان يتناسى أي اعتبارات أخرى. وفي الواقع، فإن التأييد الذي يحظى به صدام حسين، لدى قسم من الشارع الفلسطيني، قائم على هذا الأساس. هذا القسم لا يزال يصدق أن لصدام حسين نوايا عدوانية ضد إسرائيل.

❣ لكننا لاحظنا اليوم «الثلاثاء»، أنه بعد مجزرة القدس التي وقعت أمس، أعلن صدام حسين أنه أنتج صاروخاً جديداً وسماه «الحجارة». فهل هذا هو الرد العراقي على إسرائيل؟

- تسألينني أنا؟! لقد ذكرت لك أن صدام حسين لم يكن ينوي - في يوم من الأيام - أن يدخل معركة مع إسرائيل. تبين - للأسف - أن صدام حسين جبان عندما أقدم على الحرب مع إيران، كان يعتقد أنها ممزقة ومهلهلة، وأن المعركة سوف تكون نزهة عسكرية، تنتهي خلال أسبوعين وعندما أقدم على احتلال الكويت، تصور أنه يقوم بنزهة عسكرية أخرى. صدام حسين يعرف أن الاشتباك مع إسرائيل، لن يكون نزهة عسكرية، ولهذا لم يقدم عليه.

❣ مادمت أتيت على ذكر الحرب الإيرانية/العراقية، هل كنت تتمنى استمرار تلك الحرب، حتى لا يتفرغ صدام حسين لاحتلال الكويت؟

- لا يوجد إنسان يتمنى استمرار الحروب، إلا إذا كان مصاباً بمرض نفسي، أو كان تاجر أسلحة. وأنا لا أنتمي إلى أيٍ من هاتين الفئتين.

❣ هل لاحظت - كما لاحظنا - أن الخميني أثّر في صدام حسين؟ فها هو الآن يعلن نفسه: المسلم، التقي، الورع، ولا يتحدث إلا باسم الإسلام، وأنت كتبت عدة مقالات حول ذلك؟

- صدام حسين - كأي مغامر - يركب الموجة التي يراها أمامه. لقد رأى فعالية الشعارات الإسلامية أثناء حربه مع إيران، فقرر أن يستخدمها. يجد الآن أن الشعارات الفلسطينية مؤثرة، فيستخدمها.

وإذا وجد غداً شعاراً جديداً فعالاً، فلن يتردد في استخدامه. لا تنسي أنه أيام الحرب الإيرانية/العراقية - أثناء حرصه على اجتذاب الدعم الخليجي - كان يلبس ثوباً وغترة وعقالاً! لم يلبس الثوب الخليجي طيلة حياته، وبدأ يلبسه أيام الحرب، وبدأ يتكلم بلهجة أهل الخليج، ويستخدم أمثالهم، واعتبر نفسه من البدو، ونسي كل شعاراته السابقة.

❣ عندما ارتدى الثوب الخليجي، كانت الحرب على وشك النهاية، وفسر البعض ذلك بأنه كان يريد أن يفهم أهل الخليج، أن الزعامة الخليجية في بغداد.

- هناك فرق بين الزعامة والهيمنة. هناك دول تتمتع بالزعامة بحكم مركزها، سواء قام هذا المركز على ثقل سكاني، أو تفوق عسكري، أو اعتبارات دينية. مصر - مثلاً - بثقلها البشري، لها موقع متميز في المنطقة، سواء حكمت مصر كليوباترا، أو حكمها أنور السادات. هذا الموقع حقيقة من حقائق التاريخ. والمملكة العربية السعودية، لها موقع روحي متميز، لوجود مكة المكرمة، والمدينة المنورة فيها شاء الأعداء أم أبوا. صدام حسين خرج من الحرب بقوة عسكرية هائلة، وكان يعطى الصدارة والقيادة في الخليج، ولم يكن هذا محل نزاع. إلا أنه لم يقنع بهذا، وأراد المزيد. هناك فرق بين أن أعترف لدولة بالقيادة، وأن أتحول إلى قضاء في إقليم هذه الدولة.

❣ بعد حملتك على الفلسطينيين.....

– أنت تريدين توريطي على طريق السؤال الإنجليزي الذي يبدأ: «هل لازلت تضرب زوجتك؟»! وسواء كان الرد بالإيجاب أو النفي، فإن واقعة الضرب ثبتت. أنا لم أحمل على الفلسطينيين أبداً. إذا كان المقصود هجومي على ياسر عرفات، فأنا أقبل على العين والرأس.

❣ ياسر عرفات والزعامة الفلسطينية.

– كتبت – بالتحديد – عن «عرفات»، و«حبش»، و«حواتمه». فإذا كان هؤلاء هم كل الفلسطينيين، فبإمكانك أن تعتبري ما كتبت، هجوماً على الفلسطينيين.

❣ ما هو تعليقك على مجزرة القدس؟

– هل يحتاج الأمر إلى تعليق؟! مقتل فلسطينيين على أيدي إسرائيليين ! هل وصلنا إلى مرحلة تستوجب أن يكون تعليقي مختلفاً، عما كان عليه قبل أحداث الكويت؟ شعوري هو الغضب والمرارة. هل يمكن لأي عربي أن يكون لديه شعور مختلف؟

❣ هل تشعر بخيبة لأن وزراء خارجية المجموعة الأوروبية، توصلوا إلى شبه اتفاق، بإمكانية حل الأزمة دبلوماسياً، فينسحب صدام حسين من الكويت مقابل ضمان دولي، أن يستمر على رأس السلطة في العراق؟

– لقد قلت لك: إن الذي يدعو إلى الحرب، أو يطرب لها، هو إنسان مريض، أو تاجر أسلحة. وأنا لم أَدْعُ إلى الحرب قط. الذي دعا إلى الحرب وأعلنها، هو صدام حسين. هل أنا الذي احتللت الكويت؟! هو الذي احتلها، وهو الذي استخدم القوة العسكرية في احتلالها.

إذا وصلنا إلى حل سلمي يعيد الكويت كما كانت، ويعيد الشرعية دون مكافأة العدوان – فستكون هذه أسعد لحظة في حياتي، وفي حياة كل مواطن كويتي، وكل مواطن خليجي. مشكلتنا مع هذا الرجل، أنه كلما فتح الباب أمامه للخروج بماء وجهه، أغلق الباب، وبصق في وجه من جاء بالمحاولة لم يبق رئيس دولة لم يناشده. لم يبق تجمع دولي لم يناشده. لم تبق دولة لم تتوجه إليه بالرجاء. من الذي يقف الآن في وجه الحل السلمي رجل واحد فقط! هذا الرجل يقول: إنه مستعد لأن يحارب ألف سنة وأن يدمر المنطقة بأكملها وأن يبقيها في الظلام.

❣ هدّد رافسنجاني بأنه لن يسمح للكويت بقبول تسوية مع العراق، تتنازل فيها عن «جزيرة بوبيان»، أو تقبل تغييراً في حدودها. أي مؤشر ترى في هذا التصريح؟

– هناك من استفاد من عملية صدام حسين الأخيرة، وفي مقدمتهم الرئيس «رافسنجاني»، ثمار الانتصار تتساقط عليه الآن، الواحدة بعد الأخرى، ما لم يستطع تحقيقه عسكرياً طيلة

ثماني سنوات، حققه له غزو الكويت في شهر واحد لا يحتاج الرئيس «رافسنجاني» - وهو رجل ذكي - إلى أن يعمل شيئاً، سوى الجلوس تحت الشجرة، والتقاط الثمار المتساقطة وهو الآن يفعل ذلك.

❣ هل من المقبول أن يبقى صدام حسين على السلطة في العراق، كما هو الآن؟

- مشكلتنا مع صدام حسين بدأت، لأنه - أولاً - احتل الكويت، ولأنه - ثانياً - حشد قواته على حدود المملكة العربية السعودية. هذه مشكلتنا مع صدام حسين، لا أكثر ولا أقل. نحن لسنا أوصياء على شعب العراق. إذا خرج صدام حسين من الكويت، وعادت الحكومة الشرعية، وزال الخطر الذي يهدد المملكة العربية السعودية، وبقية دول الخليج - فإن مصير صدام حسين مع الشعب العراقي، أمر لا يعنينا في كثير أو قليل. نحن نرفض أن يعطي صدام حسين لنفسه الوصاية علينا، فكيف نسمح لأنفسنا بإعلان الوصاية على شعب العراق؟ إذا أراد شعب العراق أن يحتفظ بصدام حسين رئيساً مدى الحياة، فليحتفظ به، وإذا أراد أن يتخلص منه، فليتخلص منه.

❣ ظهر «طارق عزيز» على التلفزيون الأمريكي وقال: إن العراق أمة عمرها خمسة آلاف سنة، وتاريخها لا يقول: بأنها تستسلم، أو ترضح للضغوط. فما رأيك في هذا الكلام، وفي الأمة العراقية؟

- نحن - في المملكة - أمة عمرها ١٤٠٠ سنة، أي عمر الإسلام، وقبل الإسلام لم نكن أمة، بل كنا شعوباً وقبائل متحاربة. تاريخنا الحقيقي - كأمة - يعود إلى هذا التاريخ. ولا أدري كم عمر العراق كأمة، وهل هو خمسة آلاف سنة، أو أقل، أو أكثر. ولكن لماذا البحث في أعماق التاريخ؟ نحن نتكلم عن وضع معاصر نعيشه جميعاً، عن منظومة دولية، تجسدت في إنشاء «الأمم المتحدة» سنة ١٩٤٥م. وهذا الوضع المعاصر يقول - بكل بساطة -: يجب على كل دولة أن تحترم سيادة الدول الأخرى.

لماذا ندخل في متاهات ونقول: أيام أشور وبابل ملكنا العالم، وأيام نبوخذ نصر فعلنا وفتحنا؟

نحن كنا نسخر من الإسرائيليين؛ لأنهم يقولون: إن لدينا حقوقاً في فلسطين، منذ زمن التوراة. هل نقلد الإسرائيليين الآن، ونتحدث عن حقوق من أيام بابل، وحدائقها المعلقة؟ هذا الحديث عن حضارة عمرها خمسة آلاف سنة، هو تمييع للمشكلة، وهو تمييع سمج، وغير موفق.

❣ كيف ترى علاقة صدام حسين بالتاريخ؟ والذين يعرفونه يقولون: إنه ينتشي كلما شبهوه بنبوخذ نصر، أو حمورابي!

- الشيء المؤكد أن صدم حسين يعاني من مركب عظمة، ويحس برغبة عارمة في دخول التاريخ، وهو يتعلق بكل ما يمكن أن يساعد

في إدخاله التاريخ. هذه الأيام بدأ الحديث عن الرسول ﷺ، وعن سيدنا علي - رضي الله عنه - !!

في مقابلة شاهدتها مؤخراً، ذكر أن من أهم الأسباب التي دفعته إلى الانخراط في حزب البعث، ما سمعه من بطولة سيدنا الحسين - رضي الله عنه - واستشهاده! أمر غريب جداً، أن تدفع بطولة سيدنا الحسين، إنساناً إلى الانخراط في حزب البعث. هذا فتح جديد في التفكير! إلا أن صدام حسين - في سبيل الحصول على مكان في التاريخ - مستعد لتقمص أية شخصية تاريخية، من نبوخذ نصر، إلى سعد بن أبي وقاص! من سوء حظه أنه سيدخل التاريخ بصفة واحدة، هي: «محتل الكويت»!.